دوافع التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى

أ. د. حميد شهاب أحمد*
د. أرشد مزاحم مجبل**
أكاديميين من العراق

* استاذ العلاقات الدولية ـ كلية العلوم السياسية ـ جامعة بغداد
** رئيس قسم القانون ـ كلية النسور الاهلية

مقدمة

عنيت إسرائيل منذ وقت مبكر باختراق دول أسيا الوسطى بأكملها، وكانت لديها استراتيجية متكاملة، لذلك اعتمدت على التركيز في المرحلة الأولى على التغلغل الاقتصادي عن طريق رجال الاعمال الاسرائيليين من شتى الجنسيات من جهة، وتقديم نفسها كوسيط نشيط لجذب رؤوس الاموال الغربية والأميركية الى تلك البلدان من جهة أخرى، غير أن هذا التغلغل ارتبط منذ بدايته بالأستراتيجية الأميركية الهادفة الى الهيمنة على المنطقة.

أولاً: ماهية أسيا الوسطى

تتحد ساحة دراستنا بذلك الاقليم تراتسأوكسانيا[1]، الذي يضم الدول الأسيوية الخمس التي استقلت نتيجة تفكك الاتحاد السوفيتي سنة 1991، وهي (كازخستان، أوزبكستان، طاجكستان، تركمانستان، قرغيزستان) أنظر الخارطة (1).

كان الكسندر فون هيولت قد حدد مصطلح أسيا الوسطى كمنطقة جغرافية أول مرة سنة 1829م[2]، في حين كان ماكيندر أول من أدرك أهمية هذه المنطقة من منظور السياسة الخارجية[3]. وتشير آخر الإحصائيات المنشورة سنة 2012، إلى أن مجموع مساحات الجمهوريات الخمس هو (4،003،451) كيلو متر مربع.

(1) تراتسأوكسانيا: هو الاسم التي تعرف به دول أسيا الوسطى حتى بداية القرن العشرين. وهو ترجمة لاتينية للاسم الذي أطلقه العرب، عندما فتحوا تلك الدول في القرن الهجري الأول، وهو «بلاد ما وراء النهر» بالإشارة إلى النهرين العظيمين اللذين يحدانها شرقاً وغرباً، وبالعربية نهر جيحون ونهر سيحون.

(2) أحمد دأوودأوغلو، العمق الإستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، بيروت، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2012، ص493 ـ 494.

(3) أشار ماكيندر إلى أن منطقة أوراسيا تمتلك طاقات كامنة تعادل ما تمتلكه أمريكا الشمالية من مصادر طبيعية ومعادن، واتخذ من ذلك مرتكزاً لنظرياته الجيوسياسية، ومن الملاحظ أن مقاربة ماكيندر وجدت تأييداً كبيراً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، نظراً لامتلاك أسيا الوسطى خزين هائل من النفط والغاز الطبيعي والمعادن الأخرى. للمزيد ينظر: المرجع السابق، ص499.

خارطة (1)

جدول (1) مساحة الجمهوريات في أسيا الوسطى

	الدولة	المساحة الكلية م. ك. م	مساحة اليابسة م.ك.م	مساحة المسطحات المائية أ.ك.م
1	كازاخستان	2،724،900 مليون كيلو متر مربع	2،699،700 مليون كيلو متر مربع	25،200 ألف كيلو متر مربع
2	تركمانستان	488،100 ألف كيلو متر مربع	469،930 ألف كيلو متر مربع	18،170 ألف كيلو متر مربع
3	أوزبكستان	447،400 ألف كيلو متر مربع	425،400 ألف كيلو متر مربع	22،000 ألف كيلو متر مربع
4	قرغيزستان	199,951 ألف كيلو متر مربع	191،801 ألف كيلو متر مربع	8،150 ألف كيلو متر مربع
5	طاجيكستان	143،100 ألف كيلو متر مربع	140،510 ألف كيلو متر مربع	2،590 ألف كيلو متر مربع
6		4,003,451 مليون كيلو متر مربع	3،927،341 مليون كيلو متر مربع	76،110 ألف كيلو متر مربع

Source: CIA-The World Fact Book- Central Intelligence Agency\
http//www.cia. Gov\library\ publicatations\the - world - Fact Book

في حين تمثل مساحة الجمهوريات الإسلامية المستقلة (جمهوريات أسيا الوسطى) الخمسة بالإضافة إلى أذربيجان حوالي (7،18%) من مساحة

الاتحاد السوفيتي[4]، وتقع دول أسيا الوسطى من الناحية الجغرافية في نقطة التقاء عدة ديانات[5]، وحضارات عريقة[6]، وتتوسط بين الشرق والغرب.

وكما تضم شعوباً ذات أغلبية من العرق التركي[7]، وتدين غالبية شعوب هذه الدول بالديانة الإسلامية، وبالرغم من أنه لا يوجد تعريف متفق عليه عالمياً لوصف هذه المنطقة، فإن منظمة اليونسكو ترى أسيا الوسطى أو أواسط أسيا بأنها (منطقة واسعة تقع في قارة أسيا محاطة باليابسة)[8]، تعد منطقة أسيا الوسطى أهم الرقع الجغرافية التي ثار بشأنها جدل واسع بين مبالغ في قدرتها على تأمين الطاقة العالمية، ومقلل من مكانتها، إذ تحتوي تلك الدول على أكبر احتياطات نفطية في العالم بعد دول الخليج العربي، للمزيد ينظر الجدول (2).

إمكانات الطاقة في دول آسيا الوسطى

الدولة	كازاخستان	قيرغيزستان	طاجكستان	تركمانستان	أوزبكستان	المجموع	نصيب آسيا الوسطى من الاحتياطيات العالمية %
النفط (مليار برميل)	30,000	0,040	0,012	0,600	0.594	32,246	2,37
الغاز الطبيعي (تريليون قدم مكعب)	100	—	—	100	65	265	4,28
الفحم الحجري (مليون طن)	34,502	895	—	—	3,307	38,704	4,26
اليورانيوم لكل ألف طن	817	—	—	—	111	928	17
الطاقة الكهرومائية لكل مليار كيلو وات/ سنة	317	99	27	15	2	460	—

Source: Energy Resources: Enormous Development Potential. Central Asia Atlas of Natural Recources, p. 51, available at: http://carecprogram.org/uploads/docs/Central-Asia-Atlas/Energy-Resources-Enormous-Development-Potential.pdf

ونتيجة لذلك ازدحمت خريطة أسيا الوسطى بقوى دولية وإقليمية متنافسة للسيطرة عليها، ليس فقط من روسيا والصين وتركيا وإيران بما تمتلكه من ميراث تاريخي وجغرافي، بل وصل الأمر إلى الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل وغيرهما بتطلعات وافدة في هذا الإقليم وموارده[9]، بوصفها تمثل

(4) أحمد نوري النعيمي، العلاقات التركية الروسية: دراسة في الصراع والتعاون، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص140.

(5) أبرز هذه الديانات هي الإسلامية والبوذية والهندوسية والمسيحية واليهودية.

(6) تنافس هنالك عدة حضارات أبرزها الصينية والروسية والهندية والتركية والفارسية. للمزيد أنظر: عمار جفال، التنافس التركي الإيراني في أسيا الوسطى والقوقاز، سلسلة دراسات إستراتيجية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 106،أبو ظبي، 2005، ص8.

(7) تعد اللغة التركية والفارسية هي الأساس في دول أسيا الوسطى، فضلاً عن اللغة السلافية ولهجات محلية أخرى مختلفة. للمزيد أنظر: حميد فارس حسن، السياسة الخارجية التركية ما بعد الحرب الباردة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، 2006، ص341.

(8) يحدها من الشمال روسيا الاتحادية، وتطل من الجنوب على كل من إيران وأفغانستان وباكستان، بينما يحدها من الشرق الصين الشعبية، وتعد هذه الدول كيانات متماسكة وحبيسة نظراً لأنها بعيدة عن البحار والمحيطات المهمة.

(9) عاطف عبد الحميد، إبعاد الصراع على نفط أسيا الوسطى وبحر قزوين، مجلة السياسة الدولية، العدد 164، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 2006، ص67.

المتغير الجيوسياسي اللازم الذي يمثل مفتاح السيطرة على العالم، وتأسيساً على ذلك، يمكن الإشارة إلى المزايا الآتية التي تتمتع بها منطقة أسيا الوسطى:

1) التمركز في دول أسيا الوسطى يتيح الإطاحة الأكثر سهولة، والأقل تكلفة باتجاه:

أ) العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال.

ب) العمق الحيوي الصيني باتجاه الجنوب الشرقي.

ت) العمق الحيوي لشبة القارة الهندية باتجاه الجنوب.

ث) العمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي.

ج) العمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغرب.

2) السيطرة على موارد دول أسيا الوسطى تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز والمعادن والموارد الزراعية إلى روسيا والصين وشبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوربي.

3) السيطرة على ممرات دول أسيا الوسطى تتيح السيطرة على الممرات البرية والجوية التي تربط بين شبه القارة الهندية وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات التي تتيح ضبط التفاعلات والعلاقات البينية التي تربط الأقاليم المحيطة بمنطقة أسيا الوسطى.

ثانياً: مراحل التواجد الإسرائيلي في أسيا الوسطى

لما كانت دول أسيا الوسطى جزءاً لا يتجزأ عن الاتحاد السوفيتي، لم تكن علاقتها بإسرائيل مفصولة أو معزولة عن علاقتها بموسكو[10]، الأمر الذي جعل منها دولاً تابعة[11]، وغير فاعلة في صنع العلاقة وتحديدها، عليه يمكن تقسيم الوجود الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى إلى ثلاث مراحل زمنية هي:

1) المرحلة الأولى: هي الفترة الممتدة منذ نجاح اليهود في إقامة كيانهم في أيار ـ مايو سنة 1948[12]، إلى مشارف سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي، إذ أنمازت هذه الفترة بوقوف دول أسيا الوسطى موقف الخصم لإسرائيل،

(10) يرجع ذلك لكونها كانت تتبع للإدارة المركزية السوفيتية، وبالتالي لا تستطيع تحديد شكل علاقتها بإسرائيل.

(11) الدولة التابعة: هو مصطلح سياسي يشير إلى الدولة التي تعتبر مستقلة رسمياً ولكنها تقع تحت تأثير اقتصادي وسياسي هائل أو تحت سيطرة دولة أخرى.

(12) وضع ديفيد بن غورين أول رئيس وزراء إسرائيلي في مطلع خمسينيات القرن المنصرم بعض ثوابت السياسة الخارجية الإسرائيلية والتي اعتبرها ضرورية لتجأوز ما سمي آنذاك بـ (الطوق العربي).

وذلك نتيجة ظروف الحرب الباردة[13]، بالإضافة إلى طبيعة العلاقات العربية ـ السوفيتية، والصراع العربي ـ الإسرائيلي.

فانمازت هذه الفترة بعدم ووجود أي ترابط أو علاقة بين دول أسيا الوسطى وإسرائيل[14]، على الرغم من جميع المساعي التي بذلتها إسرائيل آنذاك للتقرب من هذه الدول[15]، إلا أنها باءت بالفشل.

2) المرحلة الثانية: شهدت هذه المرحلة بالرغم من قصر مدتها من سنة 1985، إلى سنة 1991[16]، تطور وتحول في العلاقة بين دول أسيا الوسطى وإسرائيل، إذ أدت سياسة ميخائيل غرباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفيتي قبل تفككه، دوراً مهماً في تسويق إسرائيل وتقديمها كدولة طبيعية لدول الاتحاد السوفيتي السابق، لكونه كان يدعو إلى تبني سياسة (البرسيترويكا)[17]، وتبعاً لذلك تحسنت العلاقة ما بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل، الأمر الذي ولد تطور في علاقة دول الاتحاد السوفيتي مع إسرائيل[18].

3) المرحلة الثالثة: تعد هذه المرحلة هي الأخيرة، إذ إنها تمتد من سنة 1991، إي بعد استقلال دول أسيا الوسطى عن الاتحاد السوفيتي، ولغاية الآن، إذ بوصفها الأكثر تأثيراً وفعلاً، والأعمق أثراً ونفوذاً[19]، إذ قامت إسرائيل بسرعة الاعتراف بسيادة واستقلال دول أسيا الوسطى، وعملت على بدء علاقات معها على الصعد كافة [20]، وشهدت هذه المرحلة ترحيب متبادل في إتمام العلاقات بينهما، حيث نشطت العلاقات التجارية والاقتصادية بعد تبادل الاعتراف الدبلوماسي بينهم. وعملت إسرائيل على استعراض قوتها وتفوقها وتطورها التقني والعسكري والصناعي على دول هذه المنطقة، المتعطشة لكل إشكال التعاون[21].

ثالثاً: أسباب التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى.

بعد استقلال دول أسيا الوسطى سارعت إسرائيل والعديد من الدول الإقليمية والدولية، إلى اختراق هذه الدول من أجل حصول أعلى الامتيازات والمكتسبات لصالحها، وبالنسبة إلى أهمية التي توليها إسرائيل لدول أسيا الوسطى، فإنها لا تأتي من فراغ، بل هنالك العديد من العوامل أدت بدفع إسرائيل نحو بذل المزيد من أجل هذه الدول، والتي يمكن حصرها فيما يأتي:

(13) الحرب الباردة: مصطلح استخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت قائمة بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفيتي وحلفائهم في العالم منذ منتصف القرن المنصرم، ولغاية العقد الأخير من ذات القرن.

(14) يرجع السبب في ذلك خضوع دول أسيا الوسطى بشكل مباشر إلى حكومة موسكو آنذاك، بسبب خضوعها للسياسة المركزية السوفيتية. كما لم يكن لديها القدرة والحرية على تغير شكل ونمط العلاقة لو أرادت.

(15) استخدمت إسرائيل جميع الإمكانيات المتاحة بما في ذلك اليهود الروس المهاجرين إليها، من خلال الاستعانة أو الاستفادة من جنسيات بلادهم الأصلية، وعلاقاتهم الواسعة فيها، وقدراتهم المالية الكبيرة التي ساهمت في بناء شركات وأساطيل تجارية عملاقة كان لها دور كبير فيما بعد في رسم السياسات الخارجية لدول هذه المنطقة.

(16) تعد سنة 1985، سنة تولي ميخائيلغرباتشوف مهام زعامة الحزب الشيوعي السوفيتي، مما أهله بعد ذلك لاعتلاء رئاسة الاتحاد السوفيتي في 26 كانون الأول ـ ديسمبر سنة 1988.

(17) البرسيترويكا: تعني إعادة البناء، وهي برنامج للإصلاحات الاقتصادية أطلقه غربا تشوف مهمتها إعادة بناء الاتحاد السوفيتي، صاحبتها سياسة غلاسنوست والتي تعني المكاشفة، أدى تطبيق السياستين إلى تفكك الاتحاد السوفيتي وتقسيمه سنة 1991.

(18) معين أحمد محمود، إسرائيل واختراق جبهة أسيا، باحث للدراسات، بيروت، 2009، ص151.

(19) شكل تفكك الاتحاد السوفيتي نقطة انطلاق للعلاقة ما بين دول أسيا الوسطى وإسرائيل.

(20) مصطفي يوسف الدواي، الكيان الصهيوني في القوقاز وأسيا الوسطى طبيعة وأهداف التواجد، مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت، العدد 143، 2013، ص14–15.

(21) المرجع السابق، ص15.

1) العوامل الجيو سياسية: كما هو معروف تقع دول أسيا الوسطى بين دولتين كبيرتين هما روسيا والصين، فضلاً عن قربها من تركيا التي تعد بوابة المنطقة إلى أوربا، وكذلك إيران التي تشكل هاجساً حقيقياً لإسرائيل وشعبها، وتهدد مستقبل وجودها، وتعرض استقرارها للخطر.

لذلك تولي إسرائيل أهمية قصوى لمنطقة أسيا الوسطى، إذ قامت وزارة الخارجية الإسرائيلية بتوسيع قسم اورأسيا فيها عما كانت عليه قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، بحيث أصبح القسم الجديد يعرف باسم (اوراسيا 2)، وهو مسؤول الآن عن جمهوريات أسيا الوسطى وجنوب القوقاز[22]، عليه تعد إسرائيل وجودها من الناحية الجغرافية مهم جداً في تلك المنطقة، إذ ترى في دول أسيا الوسطى منطقة عمق إستراتيجي لها.

2) **العوامل السياسية**: تتلخص هذه العوامل فيما يأتي:

- تحديد دور العرب والمسلمين في دول آسيا الوسطى، والحد من تطوير علاقتهما المشتركة[23].
- تحسين الوجه الإسرائيلي وجعله مقبولاً لدى الأوساط الآسيوية[24].
- تحاول إسرائيل أن تربط بين دول أسيا الوسطى ودول الشرق الأوسط، إذ إن جذب دول أسيا الوسطى في مشروع الشرق أوسطي سيخلق واقعاً جديداً في الشرق الأوسط[25].
- يضاف إلى ذلك ما تتمتع بها دول أسيا الوسطى من أهمية علمية وتنكولوجية ورثتها من تركة الاتحاد السوفيتي[26].

3) **العوامل الديموجرافية**: يرتبط هذا العامل بالأقلية اليهودية المتواجدة في دول أسيا الوسطى، إذ تعنى إسرائيل بذلك وعملت على جمع اليهود الشرقيين والغربيين من بقاع العالم، وعليه استغلت إسرائيل هذا العامل ووظفته بما يخدم مصالحها الإستراتيجية[27]، إلا أن الأمر المؤكد هو إن الوجود اليهودي في دول أسيا الوسطى يضمن لإسرائيل فرصة لتدعيم نفوذها، واختراقها لمجتمعات ونخب هذه الدول، إذ استفادت إسرائيل من هذا التواجد في اتجاهين: **الأول**: فتح باب الهجرة من هذه الدول إلى إسرائيل خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي[28].

(22) هذا العمل لم يقتصر فقط على وزارة الخارجية الإسرائيلية، وإنما حذت حذوها جميع الوزارات ذات الاختصاص والمؤسسات الأمنية والعسكرية من خلال إعداد دراسات خاصة بهذه الدول، وتشكيل فرق ميدانية وعملية لمتابعتها، من أجل التعرف على مختلف تفاصيل الحياة في تلك الدول.

(23) بيسان عدوان، النزاع الإسرائيلي ـ الإيراني في أسيا الوسطى والشرق الأوسط، مجلة مختارات إيرانية، العدد 56، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 2005، ص154.

(24) جاسم الحريري، التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى وانعكاساته على علاقاتها مع المنطقة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد 371، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص77.

(25) تعمل إسرائيل على ذلك من أجل إضفاء الصبغة غير عربية على منطقة الشرق الأوسط، من خلال ضم دول غير عربية إليها كدول أسيا الوسطى والقوقاز من الشرق، وإثيوبيا من الجنوب. للمزيد أنظر: بيسان عدوان مرجع سابق، ص154.

(26) مثال على ذلك مطار بايكونور الفضائي في كازاخستان، وهو مركز إطلاق سفن الفضاء وتجارب الصواريخ وأبحاث حرب النجوم في الحقبة السوفيتية، وما تزال روسيا تستأجره للأغراض ذاتها حتى الآن. للمزيد أنظ: محمد فراج أبو النور، إبعاد التغلغل الإسرائيلي في أسيا الوسطى: غنائم إسرائيل في كازاخستان، البيان، 2005.

(27) حميد شهاب أحمد، التنافس الإقليمي والدولي في منطقة الجمهوريات الإسلامية في أسيا الوسطى، سلسلة دراسات دولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، العدد بلا، 2004، ص18.

(28) بناءاً على ذلك فتحت إسرائيل في العاصمة الأوزبكية طشقند فرعاً للوكالة اليهودية (سحتوت)، لتنظيم هجرة اليهود إليها. للمزيد انظر: ليوندسيو كيانين، تغلغل سياسي واقتصادي وأدوار مشبوهة: الدولة الصهيونية.. الشريك الأصغر لأمريكا في أسيا الوسطى، جريدة البيان، 2002.

الثاني: إبقاء عناصر وجماعات ضغط يهودية في تلك المنطقة[29]، لضمان بقاء النفوذ الإسرائيلي في هياكل صنع القرار داخل دول أسيا الوسطى.

4) **العوامل الاقتصادية**: يبدو إن إسرائيل أعطت الجانب الاقتصادي أهمية خاصة في تحركها اتجاه دول آسيا الوسطى، فعملت نحو تطوير وتنمية تعاونها الاقتصادي في المجالات التي تحتاجها دول أسيا الوسطى وتوظيف الاستثمارات فيها، إذ شهدت مدينة طشقند العاصمة الأوزبكية أول مؤتمر اقتصادي إسرائيلي بعد أقل من ثلاثة أشهر على استقلالها في آذار ـ مارس سنة 1992، يضم دول آسيا الوسطى، لبحث احتياجات هذه الدول من المشروعات والمساعدات الاقتصادية، والدور الذي يمكن أن تقوم به إسرائيل[30]، فعملت على ثلاثة محاور من أجل ذلك وهي:

أ) **المحور الأول**: أدركت إسرائيل أنه بتدعيم علاقاتها وترصين نفوذها في هذه الدول، تستطيع من ذلك توفير كل متطلباتها من اليورانيوم اللازم لتعزيز ترسانتها النووية، واحتياجات مفاعلاتها غير العسكرية، وأدركت أنها جراء ذلك تستطيع إن تصبح لاعباً مهماً في أسواق اليورانيوم العالمية بكل ما يضفيه ذلك من أهمية اقتصادية لها على الساحة العالمية[31]، هذا بالإضافة إلى المخزون الهائل من النفط والغاز والفحم[32].

ب) **المحور الثاني**: تعد منطقة أسيا الوسطى من المناطق الزراعية الشهيرة بالعالم، وإسرائيل هي متقدمة في مجال الزراعة ونظم الري والمكننة الزراعية، ولذلك استطاعت إسرائيل بسهولة أن تحل محل أوكرانيا وبيلاروسيا في تزويد هذه الدول بالمعدات المتطورة في مجال الزراعة والري والمستلزمات الزراعية الأخرى[33]، هذا بالإضافة إلى قيام الهيئات الحكومية الإسرائيلية المتخصصة بهذا المجال، بالبحث في إقامة مشروعات مشتركة ونقل تكنولوجيا إسرائيل إلى دول أسيا الوسطى[34].

ت) **المحور الثالث**: لعل سعي هذه الدول الناشئة حديثاً لإعادة بناء جيوشها، التي لم تكن موجودة سابقاً ولم يكن لها أدوار محددة وخاصة بها، مما جعلها دولاً غير مهيئة، وينقصها الكثير للتطور والارتقاء، الأمر الذي جعلها سوقاً مفتوحة لاستيراد السلاح والخبرات العسكرية والأمنية، خاصة بعد الحرب على أفغانستان، والحروب التي خاضتها لعض تلك الدول ضمن الاتحاد السوفيتي[35].

(29) جماعات الضغط: هي تنظيم قائم للدفاع عن مصالح معينة، ويمارس عند الاقتضاء ضغطاً على السلطات العامة، بهدف الحصول على قرارات تخدم مصالح هذه الجماعة. للمزيد أنظر: سعاد الشرقاوي، النظم السياسية في العالم المعاصر، مركز الدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2007، ص243.

(30) قامت إسرائيل هنا على تقديم نفسها كوسيط نشط لجذب الأموال والاستثمارات لغربية والأميركية إلى هذه الدول. للمزيد أنظر: محمد عباس ناجي، الوجود الإسرائيلي في أسيا الوسطى: الأهداف والآليات، مجلة مختارات إسرائيلية، العدد بلا، مؤسسة الأهرام، سنة النشر بلا، ص25.

(31) ذلك لما تحتوي كازاخستان من مخزون هائل من اليورانيوم.

(32) ناهض محمد صالح أحمد، القوى والعوامل المؤثرة في النظام الإقليمي في أسيا الوسطى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، 2008، 239.

(33) بناءاً على ذلك قام وزير الإشغال الإسرائيلي (ايجدور ليبرمان) بزيارة كل من كازاخستان وازبكستان بهدف توسيع حجم التجارة بينها وبين هاتين الدولتين.

(34) لعل الغاز والنفط والمعادن المشعة هي أكثر ما يسعى إليه الإسرائيليين للحصول عليه، ويحركهم بقوة تجاه هذه المنطقة، ويدفعهم للتفكير في كيفية اختراقها والتأثير عليها، والاستفادة منها، وحرمان الآخرين من الاستفادة منها، خاصة إن إمكانياتها كبيرة، ومخزونها هائل، وأسواقها مفتوحة، وقدرتها على الاستيعاب غير محدودة.

(35) مصطفى يوسف الدواي، مرجع سابق.

5) العوامل الأمنية: يتعلق هذا العامل بقلق إسرائيل من تنامي تيار الأصولية الإسلامية في دول أسيا الوسطى، خاصة منذ سيطرة طالبان على أفغانستان قبل أن يسقط نظامها سنة 2001[36]، حيث تعد إسرائيل الأصولية الإسلامية بمثابة عدو أساسي موجه لها، ومن ثم تحركت لاحتواء تهديده وخطره على مصالحها، مستغلة في ذلك علمانية النظم والنخب الحاكمة في دول أسيا الوسطى، لذلك عدّت إسرائيل وهذه الدول الأصولية الإسلامية عدو مشترك بينهما، خاصة بعد اندلاع الحرب الأهلية في طاجيكستان سنة 1992[37]، وسيطرة طالبان على أفغانستان. وعليه تحركت إسرائيل على هذا الأساس لتفعيل وجودها في هذه الدول[38].

رابعاً: وسائل التغلغل الإسرائيلي في أسيا الوسطى.

كان لإسرائيل عدة طرق ووسائل استطاعت بها النفوذ إلى دول آسيا الوسطى، وتتمحور هذه الوسائل في عدة محاور هي:

1) المحاور السياسية: سخرت إسرائيل الوسائل السياسية كمنفذ للتغلغل في دول أسيا الوسطى، وتنوعت هذه إلى وسائل عدة هي[39]:

أ) إقامة علاقات دبلوماسية.

ب) تبادل الزيارات الرسمية.

ت) المشاركة في قمم دول أسيا الوسطى.

2) المحاور الاقتصادية: مثلما كان لإسرائيل طرق وأساليب سياسية نفذت بها إلى داخل دول أسيا الوسطى، كان هنالك إجراءات اقتصادية سهلت في ذلك، وهذه الإجراءات هي:

أ) توقيع عقود واتفاقيات اقتصادية.

ب) إشراك الخبرات الإسرائيلية في المشاريع الاقتصادية لهذه الدول.

ت) تشجيع المستثمرين الإسرائيليين للعمل في دول أسيا الوسطى.

ث) إنشاء خط نقل الغاز من دول أسيا الوسطى إلى منطقة الشرق الأوسط.

ج) تقديم المساعدات الاقتصادية.

(36) على الرغم من سقوط نظام طالبان في أفغانستان وخضوع الأخيرة إلى سيطرة القوات الأميركية، لم يتوقف التخوف الإسرائيلي من الأصولية الإسلامية، خاصة مع التقارب النووي الإيراني ـ الروسي، والوجود الإيراني الجيوسياسي في دول أسيا الوسطى. للمزيد أنظر: بيسان عدوان، مرجع سابق.

(37) محمد عباس ناجي، مرجع سابق.

(38) إن اندلاع هذه الحرب زاد من قلق ومخاوفأوزبكستان المجاورة، حيث هيأت هذه الحرب الفرصة إمام تنامي الحركات الأصولية فيها، وفي مقدمتها حزب النهضة، وضاعف من المخاوف الأوزبكية وجود تشابك كبير بين شعب طاجيكستان وشعبها، حيث إن حوالي (25٪) من سكان طاجيكستان من أصول أوزبكية، وان حوالي (20٪) من سكان أوزبكستان من أصول طاجيكية.

(39) جاسم الحريري، مرجع سابق.
ـ كذلك: جعفر عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في أسيا الوسطى والاستقطاب الدولي، الفكر الجديد، 1993.
ـ كذلك: خالد إبراهيم البعباع، إسرائيل والجمهوريات الإسلامية في أسيا الوسطى، الدستور، 2005.

3) المحاور الأمنية: استغلت إسرائيل حالة الصراع الذي شهدته دول أسيا الوسطى بين أنظمتها السياسية الحاكمة، وحركات المعارضة المسلحة، التي تصطبغ بالصبغة الإسلامية، وتطرح الأنظمة السياسية الحاكمة في هذه الدول نفسها كأنظمة علمانية، وذلك استمراراً للنظام السوفيتي، الأمر الذي جعل من إسرائيل تعزف على هذا الوتر، واتكأت على مخاوف تلك الدول من الأصولية الإسلامية، وعملت على إبعادها من بناء علاقات قوية مع العالم العربي والإسلامي، بوصفه المحيط الطبيعي لحركة هذه الدول.

خامساً: أهداف التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى.

تعد أهداف إسرائيل من علاقاتها مع دول أسيا الوسطى، وهي مزيج من أكثر من جانب، وهي قد لا تختلف كثيراً عن طموحاتها من بناء علاقات جديدة، مع دول أخرى في أي مكان آخر من العالم، فهي تقوم على الأسس نفسها، وتتفق مع نفس السياسة والهدف، ومنها[40]:

1) الظهور كقوة إقليمية تلعب دوراً مؤثراً في المنطقة، معززة بذلك نفوذها العالمي.

2) إضعاف الأمن القومي للدول العربية، وعزل العرب عن الامتداد إلى تلك الدول، وعزل تلك الدول عن المحيط العربي.

3) مد نفوذها السياسي في تلك الدول بما يعزز الاعتراف بها دولياً، ويحسن صورتها ويمنحها دعماً دعائياً.

4) تأمين خط جيهان النفطي، حيث تسعى لتأمين منابع النفط التي تغذي خط الأنابيب الذي يمتد من أذربيجان، ثم جورجيا حتى ميناء جيهان التركي ثم إلى ميناء عسقلان[41].

5) عملت على ربط اقتصاد بعض تلك الدول باقتصادها، بحيث يصعب على تلك الدول فك هذا الربط، وتسعى من ذلك لتقوية اقتصادها بفتح تلك السواق لمنتجاتها واستثماراتها، فضلاً عن التحكم في تلك الدول اقتصادياً.

6) تكثيف تواجدها العسكري والأمني في تلك الدول، والاستفادة من بيع الأسلحة والتعاون معها[42].

(40) مصطفي يوسف الدواي، مرجع سابق، 124.
ـ كذلك: خالد إبراهيم البعباع، مرجع سابق.
ـ كذلك: معين أحمد محمود، مرجع سابق، ص123.
ـ كذلك: أمنية سالم، الكيان الصهيوني في أسيا الوسطى: خطط التغلغل واستغلال الفراغ العربي والإسلامي، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:
http;\\ www.asiaalwsat.com

(41) يشكل النفط الوارد من دول أسيا الوسطى إلى إسرائيل مانسبته (40٪) من احتياجات إسرائيل النفطية.

(42) تسعى إسرائيل لملء الفراغ الذي أحدثه تفكك الاتحاد السوفيتي في دول أسيا الوسطى، ضمان عدم ظهور إسلاميين في تلك الدول، وضمان بقاء تلك الدول على حالها من حيث الضعف والتبعية للولايات المتحدة الأميركية ولها على حد سواء، مستعينة بالأنظمة الحاكمة المستبدة في تلك الدول التي تستشعر خطر الحركات الإسلامية عليها. كما ذكرنا سالفاً.

7) أخيراً إضعاف نفوذ إيران العسكري والأمني والسياسي في تلك الدول، واستخدامها كورقة ضغط لتهديد إيران عسكرياً وأمنياً.

سادساً: عوامل نجاح التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى

لعبت عوامل عديدة ومختلفة في نجاح إسرائيل من النفاذ إلى دول أسيا الوسطى، وهي عوامل كان بعضها موجوداً، إلا أنه كان ضعيفاً وغير مؤثر، على من ظهرت عوامل أخرى جديدة، لها دور أكثر قوة، فضلاً عن غياب موانع وعقبات كثيرة كانت تمنع وتعرقل، هي عوامل داخلية وخارجية، وذاتية وموضوعية، ومن أبرز هذه العوامل هي:

1) ترحيب الولايات المتحدة الأميركية بالوجود الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى وتدعيمه سياسياً ومادياً[43]، لأن هذه الدور يخدم مصالحها، ويجيء في إطار استراتيجياتها للهيمنة على المنطقة، كخلفية من خلفيات الإستراتيجية الأميركية الهادفة للهيمنة على العالم[44].

2) أفادت العلاقات القوية والمتعددة بين تركيا وإسرائيل كثيراً في فتح طريق إمام الأخيرة في دول أسيا الوسطى[45]، ويرجع ذلك إلى وجود علاقات مشتركة بين الأخيرة وتركيا، فأغلب شعوب هذه المنطقة يتحدث بالتركية أو لهجة متفرعة عنها[46]. عدا طاجيكستان التي تتحدث الفارسية. مما شكل التمهيد الأولي الواضح والصريح لإسرائيل في تلك الدول.

3) استغلت إسرائيل الفراغ الذي أحدثه التفكك المفاجئ للاتحاد السوفيتي[47]، وسارت إلى الاعتراف بدول أسيا الوسطى، وركزت خلال المرحلة الأولى من تاريخ علاقاتها مع تلك الدول على الجانب الاقتصادي[48].

4) لم تجد دول أسيا الوسطى أي بديل آخر يحميها من التعامل مع إسرائيل كقيام تعاون عربي أو إسلامي معها[49]، ونلاحظ في هذا الصدد أن الوجود العربي والإسلامي في هذه الدول محدود للغاية (سياسياً واقتصادياً)[50]، هذا بالإضافة إلى الدعم العربي للنخب الدينية المعارضة في دلو آسيا الوسطى، جعلت من الأخيرة تتجه نحو الولايات المتحدة الأميركية وحليفتها إسرائيل.

(43) كان للولايات المتحدة الأميركية دوراً كبيراً وبارزاً ومهماً، في إنجاح إسرائيل في عملية اختراقها دول أسيا الوسطى، وتعزيز علاقتها بهم، وبناء أوسع شبكة علاقات شعبية ورسمية معهم. للمزيد أنظ: مصطفي يوسف الدواي، مرجع سابق، ص122.

(44) ذلك لاحتلال دول أسيا الوسطى أهمية بالغة بالنسبة إلى القوى الكبرى بصفة عامة، والولايات المتحدة الأميركية بصفة خاصة، ويرجع ذلك للأسباب التالية: 1 ـ ضمان عدم عودة تلك الدول إلى مجال النفوذ الروسي. 2 ـ عدم ارتهان ثروات هذه الدول للهيمنة الروسية. 3 ـ الحيلولة دون مد النفوذ الصيني من الشرق، والنفوذ الإيراني من الجنوب إلى المنطقة. للمزيد أنظر: جاسم الحريري، مرجع سابق، ص91.

(45) بلغ التعاون التركي الإسرائيلي في ظل رئاسة القوى العلمانية التركية للبلاد أوجه، وهو الذي ساعد إسرائيل على التوغل في دول أسيا الوسطى، وكان ذلك على حساب العلاقات العربية ـ التركية التي كانت في تلك الفترة سيئة، لكون الأخيرة كانت تعتقد بتقربها من الغرب وابتعادها من العرب سيجني لها مكاسب أكثر.

(46) جاء ذلك نتيجة تعرض دول أسيا الوسطى إلى سياسة التتريك التي كانت متبعة من قبل الإمبراطورية العثمانية منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حتى عرفت تلك الدول بـ (تركستان) وبقيت تربطها بها علاقات قوية حتى تفكك الإمبراطورية العثمانية.

(47) خاصة إن شعوب هذه الدول كانت قد عانت من الحقبة السوفيتية، ورأت أنها خسرت الكثير بالارتهان إليها. لذلك تسارعت رغبتها في التحرر من الشيوعية، وأبدت رغبتها في تسريع اتجاها نحو الدول الغربية.

(48) سعت إسرائيل إلى السيطرة على مقومات دول أسيا الوسطى الاقتصادية كمرحلة أولى، ثم ربط اقتصادياتها بالاقتصاد الإسرائيلي مما يجعل انفصاله عنه صعباً للغاية إن لم يكن مستحيلاً، لذلك لا توفر إسرائيل أي فرصة للالتفاف الاقتصادي على تلك الدول.

(49) لم تنشغل الدول العربية والإسلامية بهذه الدول، ولم تهتم بها، ولم تكن تعتقد أنها قد تستفيد من التعاونمعها، فهي في اغلبها دول نفطية وغازية، ولديها مقومات اقتصادية جيدة.

(50) هذا بالرغم من الدعوات الرسمية التي قدمت من هذه الدول إلى الدول العربية للاستثمار فيها، ونلاحظ ذلك

5) لا شك في أن ماتشهده دول أسيا الوسطى من ضعف في الهيكل الأمني والسياسي والاقتصادي[51]، يشكل فرصة مؤاتية وسانحة لإسرائيل في زيادة تقاربها مع هذه المجموعة من الدول، سواء من حيث التعاونالعسكري أو الاستثمارات الاقتصادية أو تزويدها بالمعونة الفنية التي هي في أمس الحاجة إليها[52].

حيث ساعد ذلك إسرائيل من سرعة اختراق دول آسيا الوسطى، بسبب حاجة الأخيرة للأولى لإعادة بناء قواتها الأمنية والعسكرية لتقوية حكمها، ومنع المنظمات الإرهابية من الإطاحة بها، تحت لافته مكافحة (الأصولية الإسلامية)[53].

6) ساعدت الجالية اليهودية المتواجدة في دول أسيا الوسطى في تمهيد الطريق للتغلغل الإسرائيلي إليها، على الرغم من قلة عددهم إلا إن لهم تأثيراً كبيراً[54]، ويرجع ذلك لما يتمتعون به من قوة سياسية ومالية، فكثير من المهاجرين اليهود هم من جمهوريات الاتحاد السوفيتي، يعرفون هذه البلاد، ويتقنون لغتها، ويدركون قدراتها وخيراتها، ويعرفون كيف يتعاملون معها، وهو الممر الذي سهل على الإسرائيليين إيفاد بعض المختصين إليها[55].

7) أخيراً يتمثل بعدم وجود عداء تاريخي بين دول أسيا الوسطى وإسرائيل، الأمر الذي ساعد تقبل الأخيرة في تلك الدول[56].

سابعاً: انعكاس التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى على الدول العربية.

من المؤكد أن يؤثر هذا التغلغل الإسرائيلي في المنطقة على التواجد العربي هناك، وتتلخص انعكاسات هذا التغلغل على العلاقة دول أسيا الوسطى بالمنطقة العربية فيما يلي[57]:

1) حدوث اختلالات أمنية في المنطقة بسبب أية عملية مواجهة سياسية واقتصادية بين دول أسيا الوسطى المؤيدة لإسرائيل، وبين إيران، ولاسيما بعد تواجدها في المنطقة العربية بشكل فعلي، وهو ما سيؤثر بالتأكيد في مسلمات الأمن القومي العربي.

2) وجود دول أسيا الوسطى في أي منظمة إقليمية كمشروع الشرق الأوسط

في الزيارة التي قام بها رئيس أوزبكستان سنة 1991، والتي تعد الأولى للبلدان العربية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، فقد قدم إمكانية التعاونالاقتصادي بينها وبين هذه الدول، وإمكانية الاستثمارات العربية فيها، إلا انه لم يجد استجابة عربية لمتطلبات بلاده. للمزيد أنظر: محمد سعيد أبو عامود، في ظل أخطاء السياسة العربية والتحولات الإستراتجية: أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في أسيا، الشرق الأوسط، 2006.

(51) بعد تفكك الاتحاد السوفيتي واستقلال تلك الدول، وجدت نفسها تعاني من أزمة اقتصادية وأمنية.

(52) شعرت هذه الدول بالفارق الكبير بينها وبين كثير من دول العالم، إذ إن الفجوة التي تركها الاتحاد السوفيتي بينهم وبين المجتمع الدولي تعد فجوة كبيرة، ويصعب عليهم ردمها بأنفسهم. للمزيد أنظر: صلاح الصيفي، التغلغل الاقتصادي الإسرائيلي في منطقة أسيا الوسطى، مقال منشور على شبكة نوافذ الإخبارية على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط: htpp:\\www.nawtfeth.com

(53) دفعهم على ذلك قيام بعض المجموعات الإرهابية المتشددة بعمليات عسكرية في بعض دول هذه المنطقة. مما حدا بهذه الدول إلى رفع مستوى التنسيق وتبادل المعلومات والخبرات مع إسرائيل، فضلاً عن مساعدة النخبة الحاكمة فيها في تبرير مواقفها وسياساتها المتقاربة والمتشاركة مع إسرائيل. للمزيد أنظر: مصطفي يوسف الدواي، مرجع سابق، ص123.

(54) يقدر عدد اليهود الموجودين في دول أسيا الوسطى بنحو (12٪) من إجمالي اليهود السوفيت. للمزيد أنظر:عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفيت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات، دار الهلال، القاهرة، 1990، ص149. نقلاً عن: جاسم الحريري، مرجع سابق، 85.

(55) مصطفي يوسف الدواي، مرجع سابق. ص123.

(56) يرجع ذلك إلى فشل الدول العربية في تأسيس حقيقة للصراع العربي ـ الإسرائيلي، ولم تبين مخاطر الحركة الصهيونية على الأمة العربية والإسلامية، وأخيراً لم تستطيع كشف حقيقة المؤامرات الإسرائيلية ضد القدس والمسجد الأقصى.

(57) جاسم الحريري، مرجع سابق، ص89.

الكبير برعاية أمريكية وإسرائيلية، كما اشرنا سالفاً سيكون عبئاً على العرب، واختلالاً واضحاً في موازين القوى، لأن دول أسيا الوسطى ستكون مجندة لصالح الإستراتيجية في المنطقة بفعل العلاقات الوظيفية معها، مما سيرتب ضغوطاً جديدة على السياسات العربية في مواجهة السياسة الإسرائيلية، بالتوافق مع الدول الآسيوية المنضمة إلى الشرق الأوسط الجديد.

الخاتمة

إن التغلغل الإسرائيلي في دول أسيا الوسطى قد وصل إلى مستوى بدأ يهدد العلاقات بين تلك الدول والدول العربية، لأن إسرائيل من خلال اختراقها تلك الدول، لم تكتفِ فقط بتوطيد العلاقات السياسية والاقتصادية معها، بل عملت إلى تقليل وتحجيم الدور العربي في دول أسيا الوسطى، باستعمال مختلف الوسائل السياسية والاقتصادية والاستخباراتية، لذلك يجب على الدول العربية والإسلامية الوعي بحقيقة وأهداف الدور الإسرائيلي في تلك المنطقة، والإسراع في عمل ما يأتي:

- إبرام اتفاقيات علمية وعسكرية ونفطية بالإضافة إلى الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية.

- إذا كانت مشكلة البعد الجغرافي تمثل أحد العناصر الرئيسية لمحدودية التعاونالتجاري، فإن التعاون الاقتصادي في مجمله يحمل العديد من أوجه الاستثمار المباشر وغير المباشر، التي يمكن الاستفادة منه في إطار إستراتيجية تعمل على توطين الاستثمارات العربية في تلك الدول.

- تشجيع رجال الإعمال العرب ودول أسيا الوسطى، على إنشاء مجالس رجال الإعمال المشتركة لتوطيد العلاقات بين الطرفين، ولتسهيل تعّرف الفرص التصديرية في المنطقتين، وفتح أسواق مشتركة بينهما بالمشاركة في المعارض الدولية العامة والمتخصصة، من أجل الترويج للمنتجات العربية، بالإضافة إلى تشجيع هذه الدول على إقامة بنوك مشتركة.

- أخيراً الاستفادة من الخبرة التركية في تعاملها مع دول أسيا الوسطى.